نسيج الحكمة والصورة والنغم
فى
البلاغة الشعبية

تأليف

د. مصطفى الصاوى الجوينى

أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغية المتفرغ

بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية

محاور البلاغة الشعبية

تدور البلاغة الشعبية حول المحاور التالية :

١- الأمثال.

٢- أشعار العامية.

٣- عبارات ولغة الحياة اليومية.

٤- الأغنية الشعبية.

٥- الأزجال.

٦- الصحافة، ونضيف إلى ذلك الصحافة الفكاهية لكنها اختفت من حياتنا اليومية .

منذ نحو خمسين عامًا أو تزيد أصدر الصحفى محمود عزت المفتى مجلة (البعكوكة) وكان لها دور خطير فى إشاعة البهجة فى النفوس، ورسم البسمة على الشفاه خاصة أنها كانت تصدر أيام الحرب العالمية الثانية وسخرت من كل شىء فى الحياة وفى المجتمع، ويكفى لبيان خفة دمها أن تتصدر صفحتها الأولى (صاحبها متبرى منها) (والعدد فى الليمون) و(غرة تليفونها لا طلعت ولا نزلت)، ومن ألوانها (أم سحلول) و(دكتور مكسوريان) و(المغلقات والمشعلقات).

الموقف من الصياغة للبلاغة الشعبية :

تواجهنا ثلاثة مواقف فى صياغة البلاغة الشعبية :

(١) أولها ويتمثل فى الأمثال والسير والأغانى وكلها مجهول المؤلف، وإن كان مؤلفها هو الفكر الشعبى والوجدان الجمعى، والخيال الشعبى، والذوق النغمى الجماهيرى.

(٢) ثانيها وجاءت مع عصر الصناعة وتلك تمثلها دواوين الأزجال وشعر العامية والأغنيات المطبوعة، معروفة المؤلف وإن كانت ولدت فى حجر الشعب، وتلتزم الصدق ومرارة الانتماء إليه وتعبر عن ورح الشعب بأمانة.

(٣) وثالثها وتظهر فيما نحاور به ويحاورنا رفقاؤنا من أبناء الشعب وتلك العبارات وإن كانت يعرف صاحبها لحظة الحوار لكنه بعد ذلك يُنسى القائل بالتحديد، وقد يتوارد على تلك اللغة والعبارات مثيل لها من أشخاص آخرين، ومن هنا تصبح تراثًا مجهول القائل كالأمثال والسير وأغانى الفولكلور، وإن كان مؤلفها هو هذا المجموع الشعبى.

ولن نخطئ أبدًا سمات الشخصية المصرية فى هذا الكم البلاغى الهائل عُرِف مؤلفه أو جُهل لأن المؤلف بداية ونهاية هو هذا الشعب المصرى المتحضر.

القيمة الجمالية للغة العامية عند القدماء والمحدثين :

يروى الجاحظ أن النكتة حين تقال بلغتها العامية تملح وتحسن ولكن إذا حُولت من العامية إلى الفصحى سمجت وبرُدت.

وفى القرن الخامس يشير ابن شيث -فى العصر الفاطمى- إلى أن من قيم الجمال فى الكتابة استخدام اللفظة العامية ويسمى هذا (رشاقة).

وفى العصر الحديث كان الأديب يحيى حقى -وهو المتعصب للفصحى- يرى أن استخدام اللفظة العامية فى الموضع الذى لا يحسن فيه غيرها يعطى للتعبير حيوية وتجددًا. ويسير فى هذا الاتجاه محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وحسين فوزى، ونجيب محفوظ وكوكبة من أعلام أدبنا الحديث.

هدف البلاغة الشعبية :

النقد الاجتماعى، والتوجيه السياسى والتربوى والخلقى، وأضرب مثالاً على هذا عبد الله النديم فى (المسامير) وسلامة النديم فى (التنكيت والتبكيت).

نبات البلاغة الشعبية :

نبتت البلاغة الشعبية فى بيئة مصر الزراعية وآلاف مؤلفة من الشواهد على ذلك، لكن بحسبنا ما يأتى:

- فى السخرية من الجهالة : **(تور الله فى برسيمه)**.
- فيمن ينفع غيره ولا ينفع أهله : **(زى القرع يمد لبره)**.
- فى اختلاف وجهات النظر : **(كل فولة ولها كيّال)**.
- فيمن تتواصل مشقة عمله : **(زى الساقية تملى وتفضّى)**.
- ويضرب مثلاً للغدر ونكران الجميل : **(زرعتك قلعتنى)**.
- وحب الأرض يتعلق بها المصرى الذى يقول : **(اللى غيطه على باب داره هنيّاله)**.

وكانت الشهور القبطية مصدر الكناية لديهم :

- **(الاسم لطوبة والفعل لأمشير)** وذلك بنسبة الشىء إلى من لم يعمله.
- **(برمهات روح الغيط وهات)** وذلك لأنه شهر الخصب والحصاد.
- **(كيهاك صباحك مساك)** وذلك بشأن تساوى ساعات الليل والنهار.
- **(غدوة فى الصعيد ماهيّاش بعيد)** مثل إقليمى للإنسان الطفيلى.
- **(آخر الزمر طيطا)** المصدر هنا الموسيقى.

- **(سيدنا موسى مات، ناشف طرى هات)** بما يعنى بعد موت النبى سيان الحزن والسرور. وهو من آثار اليهود فى الأمثال المصرية.
- **(ابن الحاكم يتيم)** سياسة فى عدم استقرار الحكم يقول الفنان الشعبى :

السلطان مع هيبته ينشتم فى غيبته.

ومن تجارب المصريين مع الحكام قالوا :

(آخر خدمة الغز علقة) حكمة التاريخ من تعاملهم مع الأتراك.

(على قلبها لطالون) مثل يرجع بالتاريخ إلى العهد الطولونى.

يشير أن أحمد بن طولون أسس بمصر دولة لها استقلالها بعد أن كانت ولاية إسلامية.

الحكمة (إيجابية)

وهذه نوعية إيجابية من أمثال هى حصاد التجربة الإنسانية لأبناء مصر.

(المرأة والحظ) :

- يقولون فى يدى البخوت لمكتكتين الروس وأم الشعور بختها منحوس.
- **(اللى عنده قرش محيره يشترى حمام ويطيره)** يقولون فى السفيه ،
- **(القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود)** حكمة الإدخار يقول
- الرزق لله **(اللى يعطيه خالقه مين يخانقه)** لا يستطيع أحد أن يمنع رزق الله.
- **(آخذ ابن عمى واتغطى بكُمِّى)** تفضيل القريب فى الزواج.

- (**آخر الحياة الموت**) فلسفة الإنسان

- (**آخر ده يجيب ده**) (منطق) ربط السبب بالنتيجة.

- (**آخر المعروف ينضرب بالكفوف**) تجربة غدر بين الإنسان

- (**آمنوا على مشنه مليانة عيش ولا تآمنوا على بيت مليان جيش**) فلسفة الحياة والموت، فى الخوف من الحرب.

- (**الإبرة اللى فيها خيطين ما تخيّطش**) استحالة الشركة.

- (**إبليس ما يخربش بيته**) فلسفة عميقة فى أن الشر يتمنونه للغير ولا يتمنونه لأنفسهم.

- (**ابن آدم فى التفكير والرب فى التدريب**) التوكل على الله.

- (**أبو جوخة وأبو فلّة فى القبر بيدلّى**) الموت يساوى بين الغنى والفقير.

- (**اشترى الجار قبل الدار**) حكمة الجيرة.

أو فى تحضر المصريين وحبهم للنظافة يقول : (**اكنس بيتك ورشه ما تعرف مين يخشّه**).

- (**الكبر كبرنا والعقل ما كملنا**) فى تصوير أن الحكمة ليست بكبر السن أحيانًا.

- (**ما نابنا فى غربتنا إلا عوجة خيّبتنا**) حكمة المستغرب يأخذ بالظاهر من الأجانب.

إيجابية السعى فى طلب الرزق :

هذه حوارية بين الرجل الشعبى وربه :

(**اسعى يا عبد وأنا وياك**).

ويقولون (**الرزق يحب الخفية**).

(**والإيد البطالة نجسة**). فى كرم المصريين وقناعتهم.

فى الدعاء للكريم يقال (**يجعل بيت المؤمنين عمار**) و(**بصلة المحب خروف**) و(**الجودة من الموجودة**).

بل ويكفى حلاوة اللقاء دون حلاوة الغذاء (**لاقينى ولا تغدِّينى**).

مراجعة المثل (السلبيات)

بعض أمثالنا لأنها نتاج تجارب فردية يخلص منها الإنسان إلى الحكمة أو القاعدة التى تحكم فكره وسلوكه فهى بحاجة دومًا إلى مراجعة لأنها نجمت عن خطأ فى الحكم أو تحت ضغط من أحادية التفكير أو لظرف خاص، خذ مثلاً :

(**القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود**) حكمة عاقلة عن الإدخار وبإزائها (**اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب**).

والحكمة (**احيينى النهاردة وموتنى بكرة**) بإزائها (**تجرى جرى الوحوش غير رزقك ما تحوش**) و(**خليها على ا لله**).

وللإنسان أن يسعى وهو مأمور بذلك ولكن الرزق ومقداره أمر من الله مُقدَّر ولا نستسلم للمثل القائل (**قيراط حظ ولا فدان شطارة**).

ويقولون فى القرابة من السلطة الحاكمة :

- **اللى له ظهر ما ينضربش على بطنه.**

وفى القناعة بالعاجل دون الآجل

- **بيضة النهاردة ولا فرخة بكرة.**

- **ادينى اليوم صوف وخذ بكرة خروف.**

- **(ارقص للقرد فى دولته)** التعامل بالنفاق مع الحاكم

- **(اسأل مجرب ولا تسأل طبيب)** فى سماع نصيحة غير المتخصص

- **(إصباح الخير يا جارى انت فى دارك وأنا فى دارى)** فى عدم التعاون.

تشكيلات أسلوبية

لدى الأديب الشعبى فنون فى تشكيلات أسلوبه فهو مرة يدير عبارته فى حوار وفى ثانية يرسلها فى صورة حدوتة قصيرة وفى ثالثة يرسلها عبارة مكثفة موجزة تقطر منها الحكمة والدرس المستفاد من التجربة.

وههنا بعض النماذج لما تقول.

ففى الحوار :

(الدست قال للمغرفة يا سودة يا معجرفة قالت كلنا أولاد مطبخ)

وهذه صورة فيها حوار ساخر.

تشكيلات أسلوبية :

(هات عمتك ويوم القيامة خُدها) سخرية فى تصوير المماطلة.

(دور العويل فى دفاتره لقى له نص كلب شرك) صورة ساخرة للمفلس.

(جحا عامل ساقية تملا من البحر وتكب فيه) تصوير للغفلة.

(ما يغرك الباب وتزويقه شوف اللى جواه فطر ولاً على ريقه) صورة ساخرة.

(الجنازة حارة والميت كلب) الشعب يصور بصورة الساخرة من المظهر الحزين.

الأسلوب الحوارى فى المثل :

(عيشك يحلى لى يا خالى، قال : من سوء بختى يا ابن أختى) مثل حوارى.

(يا صياد صدت شيء : قال حتى اللى فى الشبكة راح) صورة للصيد.

وعن استمرار الظالم لظلمه : (قالوا إيه فرعنك يا فرعون :قال : مالقتش حد يصدنى).

وعن موطن للإنسان حوار جحا : (قالوا بلدك فين يا جحا ؟ قال اللى فيها عيالى)، وفى رواية أخرى (اللى فيها أكل عيشى).

وعن الإلحاح فى طلب المستحيل هذا الحوار الهازل الساخر :(أقول تور، يقول أحلبه).

وفى الصبر على المكاره : (قالوا إيه رماك على المر ؟ قلت : اللى أمرّ منه).

وفى منطق الشر إذا تعاون ركناه يقول المثل الشعبى :(حداية ضمنت غراب، قال : يطيروا الاتنين).

(يشوف الغنم سارحة، يقول : سألناكم الفاتحة) تصوير ساخر للبلاهة.

(كلب أبيض وكلب أسود، قال :كلهم ولاد كلاب) مثل فى صورة منطقية. تكون له القيادة والسخرية هنا من كثرة ما مر على مصر من أجناس الغزاة).تشكيل أدبى فى صورة حدوتة لها مغزى.

(الغنى شكّته شوكة بقت البلد فى دوكة . والفقير قرصه تعبان.

قالوا: اسكت بلاش كلام) سخرية فى صورة قصصية مرجزة عن حظ الفقير والغنى فى هذه الدنيا.

(الفار وقع م السقف، قال له القط : اسم ا لله عليك، قال : سبنى وخلى العفاريت تركبنى) صورة قصصية ساخرة رمزية فى إبداء الشفقة والنية الشر.

(حِبْلَة ومرضعة وشايلة أربعة وطالعة للجبل تجيب دوا للحبل وتقول يا قلة الذرية) السخرية من عدم الرضا بما رزق ا لله من الذرية.

ومن التشكيلات الأدبية :

المثل :

وقد تشكل فى معارض من فنون الزخرفة البديعية، وتعد الكناية من أكثر صور البديع استخدامًا فى البلاغة الشعبية ومعها الجناس والسجع... ومن البيان التشبيه.

الكناية :

- عن الاضطراب **(الدنيا بتضرب وتقلب)**
- عن الاضطراب **(الدنيا واقفة على رجل).**
- عن الاحتقار **(رماه من عينه).**
- عن الدهاء **(يسرق الكحل من العين).**
- عن الخلط **(سمك لبن تمر هندى).**
- عن شدة الامتزاج **(سمن وعسل).**
- عن القرب **(فركة كعب).**

- عن سرعة الاختفاء (فص ملح وداب).

- عن المناظرة أو المماثلة (قد وقدود).

- عن اليسر (قول يا باسط)

- عن الشك والخوف (لعب الفار فى عبه)

- عن طول اللسان (متلفع بلسانه).

- عن المستحيل (آدى السما وآدى الأرض).

- عن عدم اللقاء (آدى وش الضيف).

- عن الضرة (آديني حيّة لما أشوف اللى جيَّة).

- عن حظ الناس (ابن الكُبَّة طلع القبة وابن اسم ا لله خده ا لله).

- عن الغفلة (ابنه على كتفه ويدور عليه).

من عبارات العامة فى الذم بأسلوب الكناية : يقولون :

اللهو الخفى - اللى ما يتسمى - المدعرق - المدهول على عينه - اللى بالى بالك.

الطباق :

الصورة حركية مع الإيحاء الصوتى فى الطباق وفى صياغة المثل بصيغة اسم الفاعل :

(البانى طالع والفاحت نازل). حكمة فى صورة طباق

(المتغطى بالأيام عريان)

الجناس :

(إن طاب لك طاب لك وإن ما طاب لك حول طابك)

السجع

(جيت أتاجر فى الكتان كترت الأحزان).

عبارات مصورة وعصرية :

فى الجوع يقول زجل الشعب (**عصافير بطنى بتزقزق**).

وينصحك بالحلم فالخلاف طبعى (**دى مصارين البطن بتتخانق**).

والآن يقال لمن سيطيل الحديث (**هات من الآخر**) يعنون أخر شريط الكاسيت ومع نظام القنوات فى التليفزيون يقال لمن يعدد ما أنعم الله به على من يحاوره فيجيبه (**ده نظام نق بقى**).

وكان يقول من يزمع السرعة (**طيران فريرة**) أما الآن يقول لك (**صاروخ وهارجع لك**).

تشكيلات لغوية

وللغة العامية نحوها الخاص سواء فى بنية الكلمة أو فى دلالتها أو إعرابها الفعل المضارع

(**اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب**).

الصرف :

قلب الذال زايًا :

أ- (**زنبه على جنبه**).

ب- (اتمفعل)

(**اتمسكن لما تتمكن**)

(كويّس ورخيِّص وابن ناس)

النفى :

(نصّ البلد ما يعجبنى وأنا أعجب مين)

الحروف لما بمعنى حتى

(مكسور ما تاكلى وصحيح ما تكسرى

وكلى يا مرات ابنى لما تشبعى).

يا بمعنى إمّا

(اصبر على الجار السو يا ير حل يا تجى له داهية).

(موت يا حمار لما يجيك العليق).

ويروى : على ما يجيك : وعلى هنا معناها (إلى أن).

(اللى انت خايف منّه هَلْبت عنّه) - بتشديد من وعن

(اللى ما يخاف ا لله خاف منه).

قام بمعنى الفاء (قالوا للكاتب استريح قام وقف).

الاستفهام :

(تروح فين يا زعلوك بين الملوك)

إن وأخواتها :

(أكننا يا بدر لا رحنا ولا جينا).

النداء :

(آهى ليلة ،وفراقها صُبْح) -آ،كأنها للتنبيه وهم يقولون·آهو قاعد

التعجب

(يا قلب يا كتاكت ياما فيك وانت ساكت)

(يا قلب يا قفص ياما فيك من غصص)

التفصيل :

(المركب اللى تودّى أخير من اللى تجيب).

(ما أحسن من ستى إلا سيدى).

الجمع :

(ياما فى الحبس من مظاليم)

اسم المفعول :

(باب النجّار مِخلّع)

المثنى :

(من قدّم شىء بيداه اتقاه)، ونلحظ أن المثنى مرفوع كسرًا للقاعدة الفصيحة.

المذكر والمؤنث :

(مال لحمتك مشغّتة قال من جزّار معرفة).

اسم الفعل (العلم) :

(سيدى بندَق ما سدّق)

الاسم الموصول :

(يا بخت من قدر وعفى)

(احنا بنقرأ فى سورة عبس) (حنا بمعنى نحن)

(فيها والاّ أخنيها) - أى الغنيمة وما فى معناها

(تبات نار تصبح رماد، لها رب يدبرها) - أى المصيبة

اسم الإشارة :

يستخدم فى صياغة الحكمة الراحدة سواء فى التسليم بمشيئة الله أو بيان الحقيقة.

(آدى الجمل وآدى الجمّال).

(آدى ا لله وآدى حكمته).

الأسماء الستة :

(نار جوزى، ولا جنة أبويا)

المبنى للمجهول :

(لأجل عين تُكرم ألف عين)

العطف :

(رحت بيت أبويا استريح، سبقنى الهواء والريح).

هو من عطف المرادف، لأنهم يريدون بالهواء الريح

وأديب الشعب ينحت ألفاظًا وصورة مثلاً :

(ادلعدى، الغندورة، ... اسم النبى حارسها)

(ست أبوها، بخاطرها، ماشا ا لله).

النحت :

(بسملة قهوة من جيب الأغا)

(كل شى له يشبهن له)

وهنا البراعة الشعبية فى النحت اللغوى

اختصار الكلمتين فى لفظة مثلاً

(أى شىء) يتحول فى التعبير الشعبى إلى (إيش)

- (إيش تعمل الماشطة فى الوش العكر).

اسم (أفندى) واللفظة الأفندى قصته.

فاللقب أفندى كان يطلق على الحكام الذين يلبسون الطربوش والبدلة، فإذا كان يلبس جلبابًا وطربوشًا، قالوا إنه أفندى بظرميط.

ومعنى بظرميط :

إنه ملخبط، فهو أفندى للبسه الطربوش، وابن بلد للبسه الجلباب، وكذلك يسمون الولد يأتى من أبوين أحدهما مصرى والآخر سودانى بظرميط، ويسمون الفراخ التى تأتى من ديك هندى وفرخة بلدية أو بالعكس بظرميط.

ويقولون : (بلاش بظرمة أى كلام فارغ).

وأصل اسم الأفندى كان محصورًا فى العائلة المالكة فى الأستانة، يقابل برنس الأفرنجية، وكان يطلق على السيدة المحترمة "أم الأفندى" (أم أفندينا).

وإلى عهد قريب برطشت الكلمة فصارت تطلق على الفراشين الذين يلبسون البدلة ويخدمون فى الأفراح والمآتم، تمييزًا لهم عن الفراشين ذوى العمم

وإن كان الحكم الفارسى لمصر الذى دام ثلاثة قرون لم يترك أثرًا فى أدبنا الفصيح لكن التقطته ذاكرة ابن البلد ودار على لسانه منذ حكمهم قبل الإسلام إلى يومنا الحاضر ويكفى هذا القليل :

بالوظة = بالوده

برغل = برغل (القمح)

كهنة = قديم

برواز = بروز

طشت = تشت.

يخنى = نفس المعنى.

عبارات معاصرة :

وفى مواجهة مسجد الشعرانى بالقاهرة (محل لحمة راس) تقول لافته **(كل كبده ومخ ضانى واقرأ الفاتحة لسيدك الشعرانى)**.

ثراء البلاغة الشعبية :

يكفى التدليل على هذا كيف تصرّف ابن الشعب فى لفظة (عين):

(عينه منها) : معجب بها

(عينه عليها) : يطمع فى خطبتها

(عينه فيها) : يطمع فيها.

(العين ما تعلاش على الحاجب) : فى احترام الكبير

(عينه تندب فيها رصاصة) : كناية عن البجاحة

(**عينى يا عينى**) للتعجب

(**عينى عليك باردة**) : للسرور براحة باله أو صحته.

(**عينى بترف**) : كناية عن القلق

(**عينك ما تشوف إلا النور**) : كناية عن الوقوع فى شر.

وفى اليد يقولون :

(**إيده طرشة**) : وهنا تراسل الحواس وكناية عن قوة البطش.

(**إيده طويلة**) : كناية عن السرقة.

(**إيده تتلف بحرير**) : كناية عن إتقان الصنعة.

(**إيده خفيفة**) : كناية عن براعة الجراح، أو عن مهارة اللص.

(**إيدى على إيدك**) : كناية عن طلب التعاون والاتحاد، وضدها، (**إيد واحدة ما تصفقش**).

(١) مجتمع الباعة :

وله أسلوبه البلاغى الخاص فلقد يقدم المشبه به على المشبه : كيزان العسل يا بطاطة – قشدة يا جرافة – ورد يا طماطم.

ويقدمون الصفة على الموصوف : شفاء وحمير يا عرقسوس – حمار وحلاوة يا بطيخ – ريان يا فجل.

وربما قدم أيضًا موطن الثمر : رشيدى يا بلح – منفلوطى يا رمان – أسيوطى يا بلح... الخ

وفى صباى لحظت أحد باعة الخضر الظرفاء يستخدم فى نداءاته أسلوب التعريض معابثًا العجائز والصبايا : فإذا مرت مليحة كان نداؤه

(بامية يا مقمعة) (لوز يا فاصوليا). وإذا مر به من لم يرفد مصنعه صرخ (قرعة قرعة).

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وقد انخفضت الأجور وعلت الأسعار، وتعامل التجار مع العملاء بأسلوب الشكك، وبعض التجار رفض هذا وعلق لافتات منها ما يقول بأسلوب السجع :

(الشكك ممنوع والزعل مرفوع).

والمتفلسف يقول **(إذا نطق الديك شكك أديك).**

مجتمع الأطفال :

وله عباراته المسجعة، التلقائية، العبثية، ففى واحدة من ألعابه يقول **(حادى بادى كرنب زبادى، شاله وحطه كله على دى).**

وإذا أبصروا مفطرًا فى رمضان صرخوا فى وجهه **(يا فاطر رمضان، يا خاسر دينك، سكينة الجزار تقطع مصارينك).**

ومع مشارف العيد يغنى الصغار : **(يا برتقال يا أحمر يا جديد، بكرة الوقفة وبعده العيد).**

بل يعاتبون الشمس وهى طالعة والمطر ينزل فهم بفطرتهم يلحظون المخالفة بطلوع الشمس وسقوط المطر فيقولن **(عيب عليك يامطره والشمس طالعة).**

مجتمع المتسولين :

ولأن التسول فى معظمها تمثيل يقوم فريق على رأسه من يقول **(حسنة قليلة تمنع بلاوى كتيرة، هنيالك يا فاعل الخير)** ويرد الكورس من زوجته وبعض صبيته **(عشانا عليك يا رب) (كريم يا رب، حليم يا رب).**

ثم يقوم قائد الفريق يقول (**من قدم بيداه شيء التقاه**) (**هنيالك يا فاعل الخير**)، ويردد الكورس مغيرًا العبارات : أنت الكريم يا رب، أنت الرحيم يا رب.

ونلحظ هنا أسلوب الترديد وفى الترديد حمية صوتية.

شعراء العامية والأغانى

وخطا شعراء العامية فى شعرهم لغة الشعب وأمثاله وعباراته وتشكيلاته المتعددة وضمنوها الموسيقى والإيقاع ودفعوا بها إلى المطربين والمطربات أصحاب الحناجر الذهبية ليضاف إيقاع إلى إيقاع وأداء تعبيرى ليثمر جمالاً ساحرًا يغزو القلوب، يسحرها، يسكرها مفعم بلذة رائعة.

فى البحر لم فتكم　　فى البر فتونى

بالتبر لم بعتكم　　بالتبن بعتونى

صورة من أغنية يغنيها محمد عبد الوهاب

الشمس طلعت نامت وصحيت وأنا اللى طول الليل سهران.

التفاؤل والطبيعة والحب عند الرجل الشعبى :

يقول الشاعر

يا حلو صبح　　يا حلو طل

يا حلو صبح　　نهارنا فل.

وأنت تلحظ الموسيقى فى الإيقاع وفى تكرارا (يا حلو).

وفى ربط العطر الذكى للفل ببياض اللون خاصة وأن من عادة المصريين فى الصباح نهارك فل، صباحنا قشطة ولبن تفاؤلاً.

الأغانـــى

انظر إلى الجناس الذى تحدثه طريقــة نطـق المصريـين للقـاف (ألفًـا) تقول الأغنية :

يا أمة القمر على الباب

نور أناديله

يا أمة أرد الباب

ولا أناديله.

ولاحظ الكناية (القمر على الباب) و(أرد الباب)

فى موال لمحمد عبد المطلــب يقـول مستخدمًا صـورة الجنـاس فـى الأداء الصوتى :

أقوم من النوم أقول يا رب عدّ لها

بلد حبيبى قصاد عينى ومش قادر أعدى لها

الفرانكو آراب :

منذ منتصـف القـرن العشـرين شـاع بـين فنـانى المونولـوج الأغنيـة الفرانكو آراب فيهـا بعـض جمـل فرنسية أو إنجليزيـة وشـهر بذلـك الفنـان الشعبى محمود شكوكو : (**مون آمور مون آمور مون آمور Mon Amour Mon Amour Mon Amour حبيبى يا ساكن لى فى آخر دور**).

أو قوله : (**حبيبى هاجر وهجره ده محصلش حبيبى الهجر ده ليه I love you very much**).

ونظم أحد ظرفاء المعاهد الدينية، حين قررت عليهم دراسة اللغة الإنجليزية، نظم أرجوزة فى مزيـج مـن العربيـة ومفـردات وجمـل إنجليزيـة،

وجعل اللغة معربة وهى فى الأصل غير ذلك فيجعل الخبر فى الجملة الإنجليزية مضمومًا ويشبع حركة الضم لتصير و على هذا النحو :

تحية الصبح قولى good morning

وتحية المسا يا صاح good evening

وهذا الحرص على التنغيم الصوتى من أغانى الفرانكو آراب، وفى خلال الأغنية عبارات بالفرنسية واليونانية.

ولعل أغنية (**يا مصطفى يا مصطفى أنا بحبك يا مصطفى**) نموذج أغنية (فرانكو آراب).

يقول إسماعيل يس فى واحد من مونولجاته :

يا دمعى Stop Stop دمعى مش راضى يستوب Stop.

حتى الكلمة الإنجليزية يركب لها تاء المضارعة يجتمع مع خفة الظرف المصرى.

ويسأل أحد الطباخين والساعة الثامنة والنصف فيجيبه : **بامية ورز**، وذلك من قافية المطبخ.

وهذه الموهبة منحته القدرة على الألفاظ الساخرة : مكعبر - زقلط - مبجعر - مخشرم - ملحوس.... الخ.

وتخترع اللفظة تخفيفًا للموسيقا والسخرية (**اتلم عليه زعيط ومعيط ونطاط الحيط**).

وانظر إلى هذه العبارات الضاحكة (**طمعنجى بنا له بيت فلسنجى سكن له فيه**).

الموسيقى والدلالة :

قد تمثّل اللفظة الحركة (**تيتى تيتى زى ما رحت زى ما جيت**).

أو الهيئة (**شالوه هيله بيله**).

وتتكرر اللفظة محققة للموسيقى (**قعده على قعده راح النهـارده يـا سعده**).

والصياغة تتحرى الموسيقية (**يا رايح كتّر من الفضايح**).

صوت ونغم

الترخيم :

(**اصبر يا ستيت، لما يخلى لك البيت**).

التنوين :

(**خيرن تعمل شرن تلقى**)

التنوين :

(**كل شى له يشبهن له**) - هو كل شيء له ثم أدخلوا التنوين على الفعل فقالوا يشبه له.

(**زى جمعية الغربان أولها كاك وآخرها كاك**) صوت الغربان.

(**توتة توتة فرغت الحدُّوته**) الصوت

(**العيش من العيش والدَّناوة ليش**) نغم موسيقى.

(**بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا زهرة**) موسيقى

(**طمعنجى بنى له بيت فلسنجى سكن له فيه**)

(**الحاجة فى السوق تقول نينى نينى لما يجى الخـايب يشـترينى**) صورة ساخرة + موسيقى.

(**أبو جعران فى بيته سلطان**).

ولو أن المضمون عند تفصيل الحكاية لكن العبارة موجزة تبدأ بحكاية الصوت وتختم بالتحية اللفظية.

(من طقطق لسلامو عليكو).

عند الصوت والدلالة :

(من بره هَلَّه هلَّه ومن جوّه يعلم ا لله) وذلك عند الاغترار بالمظهر الخدّاع.

الصوت :

استحباب الكسر وهو أخف الحركات فى نطق بداية آخر حرف من المبتدأ مع الحرص على إبراز التنوين والنون لها خاصية موسيقية متميزة.

- **(يومٍ لك ويومٍ عليك).**
- **(خيرٍ تعمل شرٍ تلقى).**

الصوت :

- **(حالى شرم برم)**

(أخويا هايص وأنا لايص).

الأزجال :

وتبلغ قمة الحكمة والنضج الفكرى والإحساس بالإيقاع المتأنق عند الزجالين فمثلاً "بيرم التونسى" ينقد المجتمع الذى صار ينصرف عن الوعاظ وأهل النصح الاجتماعى ويُعنى بالأرتيست.

يقول موجهًا حديثه لمحمود أبو العيون شيخ الإسكندرية الدينى :

(يا بو العيون ياللى أنا وأنت خلاص فلست)

(والناس قالوا لى وقالوا لك يا عجوز هلوست)

(راح الزمان اللى بيقولوا المواعظ فيه)

(على المنابر وقامت توعظ الأرتيست).

ويقول ناصحًا الأمهات بألا يربوا أولادهن على الخوف

(وبطلى قولة العفاريت والغولة

ليطلع الواد عبيط والبنت مهبولة

ما تعرفيش الكلام ده يتلف الأولاد

ويفرجوكى المرار وتعيشى مخبولة).

ولعل بيرم كان يرجم بالغيب حين دعا إلى الحفاظ على البيئة فيقول مخاطبًا ابن البلد :

يا ابن البلد دى البلد　　مكتوب عليها اسمك

وزى ما تكون شوارعها　　يكون رسمك

حافظ عليها كما　　تحافظ على جسمك

لاتشمّت الناس　　ولا تفرج عليك خصمك

أما شيخ الزجالين المعاصرين فهو "فؤاد حداد" الذى يتسم بخفة الظرف وموسيقية العبارة، يقول فى وصف سوء فقره وسوء حاله :

(فنان فقير على باب ا لله).

(الجيب ما فيهش ولا سحتوت)

(والعمر فايت بيقول آه)

(والقطر فايت بيقول توت)

(صحيتنى ليه يا شاويش يا شاويش)

(أنا كنت سارح فى الملكوت)

(لما بانام باحلم وباعيش)

(لما بافوق ما بافوقش باموت)

يقول فى روح طفولية مرحة محبة للحياة :

(طلعت أدِّب أدب دبيب

ونزلت أدب سبع سراديب.

أنا أخوك الدب ما أنيش الديب

ومفنجل عينى تقول دا أديب

والا دا عاشق داب فى دباديب

الحلو اللى بيغطس ويلعب

طلعت أدب نزلت أدب)

ونختم بصلاح جاهين الذى يبدو فى أزجاله متأملاً ذا شجن يتعجب من فلسفة الحياة ويتأمل طويلاً فى فكرة الموت، يقول فى رباعياته:

مرغم عليك يا صُبح مغصوب يا ليل

لا دخلتها برِجْليَّا ولا كانلى ميل

شايلنى شيل دخلت أنا فى الحياة

وبكره ح اخرج منها شايلنى شيل

عجبى !!

ويتأمل فى الكون ويخرج من سؤال إلى سؤال ولكن لا جواب

نظرت فى الملكوت كتير وانشغلت

وبكل كلمة (ليه ؟) و(عشانيه) سألت

اسأل سؤال ... الرد يرجع سؤال

واخرج وحيرتى أشد مما دخلت

عجبى ! !

الأصل هو التراب وإذن هل الأصل الموت أم الحياة ؟

خرج ابن آدم م العَدَمْ قلت : ياه

رجع ابن آدم للعدم قلت : ياه

تراب بيحيا ... وحىّ بيصير تراب

الأصل هوَّ الموت والا الحياة ؟

عجبى ! !

ويعجب لحظ الفؤاد الحساس :

عجبتنى كلمة من كلام الوَرَقْ

النور شَرَق من بين حروفها وبَرَقْ

حبيت أشيلها وقلبى ... قالت حرام

ده انا كل قلب دخلت فيه اتحرَق

عجبى ! !

شجن الفنان دائم وإن ضحكت الطبيعة وتجملت بالأزهار :

دخل الربيع يضحك لقانى حزين

نده الربيع على اسمى لَمْ قلت مين

حط الربيع أزهاره جنبى وراح

وإيش تعمل الأزهار للميتين

عجبى !!

ثم يعجب لحكمة الإنسان الذى لا يتعظ برحلة العذاب بمن سبقه:

سرداب فى مستشفى الولادة طويل

صرخات عذاب ورا كل باب وعويل

.. وفى الطريق متزوقين البنات

متزوقين للحب والمواويل

عجبى !!

خاتمـــة

١. وهكذا تحمل كل مفردة أو تركيب شعبى عبق التاريخ المصرى عبر آلاف السنين ورامزة إلى فكر ابن النيل وإبداعه، ووجدانه وخياله ولعله بعد ذلك تنزاح الغشاوة عمن يرى سطحية وسذاجة ما ينطق به العامى المصرى.

ثم تحية وفاء وحب إلى روح أستاذين جليلين انطلقت منهما دعوة كريمة إلى درس الأدب المصرى والفولكلور الشعبى إلى أستاذى عبد الحميد العبادى وأستاذى محمد خلف الله أحمد.

ولقد سارعت كليات الآداب والتربية فى جامعات مصر إلى تلبية الدعوة، وسؤالى الحائر.

٢. هلا لا يكفى موطن الدعوة بالصمت عن (لا) و (نعم)

شكرًا لجميل إنصاتكم.

ونلقاكم دومًا على خير.